الاستعارة بين الرؤية البلاغية و الممارسة التداولية

Metaphor between rhetoric and pragmatics

حمزة لكحل *

جامعة الحاج لخضر-باتنة/ الجزائر

hamza.lakhal@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 16-**04-2022** تاريخ القبول22-06-2022

ملخص:

لقد نالت الاستعارة اهتمام البلاغيين منذ القديم، فعملوا على دراستها وتعريفها، وإظهار حسنها وجماليتها، وبيان بلاغتها، وتباروا في تقسيمها، وتوضيح الهدف منها، وبيان العلاقة بينها وبين الصور البلاغية الأخرى، فللاستعارة أهمية كبيرة في العمل الأدبي، نظرا لما تنطوي عليه من وظائف تكسب المعنى قيمة جمالية إلى جانب قيمتها التعبيرية، إضافة إلى هذا، فقد عدّت الاستعارة ضمن النظرية اللسانية الحديثة (الحجاجية) أداة من أدوات الإقناع لما لها من أثر في اللغة والفكر على حد سواء. وتسعى هذه الدراسة لربط الموروث البلاغي ممثلا في الاستعارة البلاغية بالدرس اللساني الحديث ممثلا في الاستعارة الحجاجية التداولية التي تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بغرض توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، والاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارًا؛ لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية والتواصلية.

الكلمات المفتاحية: استعارة؛ استعارة حجاجية ؛ بلاغة ؛تداولية ؛ آلية إقناع.

Abstract:

The metaphor has aroused the interest of rhetoricians since antiquity, so they strove to study it, define it, show its aesthetic side, present its rhetorical force with a rivalry to divide it into subcategories, clarify its purpose by showing its relationship to other figures of speech. Indeed, metaphor has a great importance in the literary work because of the functions that it contains and which give the meaning an aesthetic and expressive values. Moreover, the metaphor is introduced in modern linguistic theory (argumentative) as a means of persuasion in view of its effect on language and thought. The aim of this study is to join the rhetorical heritage represented by the rhetorical metaphor, with modern linguistics represented in the argumentative and pragmatic metaphor, contained in the linguistic means that the speaker uses in order to orient his speech and to achieve its argumentative objectives. Thus, the argumentative metaphor is the most common type since it is closely related to the intentions of the speakers and their contexts of communication

Keywords: Metaphor; Argumentative metaphor; Rhetoric; Pragmatics; Means of persuasion.

مقدمة:

حظيت الاستعارة ولما تزال باهتمام خاص من الفلاسفة والمناطقة والبلاغيين والنقاد وسواهم قديماً وحديثاً، ليس لأنها تندرج ضمن مفهوم المجاز فحسب، وإنما بوصفها ناقلة للمعنى من حيز إلى حيز آخر، ضمن مشروطية الاشتراك بينهما بآلية استبدالية تكون جزءاً حياً للثاني.

وتعد الاستعارة من أهم الموضوعات التي شغلت الدارسين على مختلف أطيافهم، وتعدد مرجعياتهم الفكرية، فقد كانت ركنا جوهرياً مكينا في بنية أنساقنا الفكرية والتصورية، وهي إحدى الدعائم الأساسية التي يقوم عليها الخطاب، باعتبارها أسلوبا بلاغيا شائعا في الدرس اللغوي القديم والحديث. وقد كانت الاستعارة لدى كثير من الدارسين محور العناية؛ نظراً لما تضيفه للكلام من رونق وزخرف وكذا من معنى ودلالة.

وانطلاقا من هذه الأهمية تشكّلت إشكالية الدراسة وجاءت كالآتي: ماهي العلاقة بين الاستعارة كمبحث بلاغي قديم والاستعارة كرؤية تداولية جديدة؟ ما هي نقاط التشابه والتشارك بين الاستعارة عند البلاغيين والاستعارة عند التداوليين؟

وسنحاول في هذه الدراسة الانتقال من الرّؤية البلاغية للاستعارة لدى البلاغيين العرب القدامى، وصولا إلى الرؤية التداولية للاستعارة، وكيف تناولها علماء اللسانيات التداولية، محاولين استخلاص أهم نقاط التقاطع بين البلاغيين والتداوليين في قضية الاستعارة.

أولا: مفهوم الاستعارة

لغة: الاستعارة لغة مأخوذة من العارية، والعارية والعارة ما تداوله الناس بينهم، وقد أعاره الشيء وأعاره منه وعاوره إياه، والمعاورة والتعاور شبيه المداولة، والتداول في الشيء يكون بين اثنين

اصطلاحا:عرفها ابن المعتز بقوله:" وإنما هو استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها"[1]

ويعرفها العسكري بأنها:" نقل العبارة من موضوع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض."[2]

ويعرف السكاكي الاستعارة بقوله« هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدَّعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به».[3]

ويعرفها الجرجاني بقوله« اعلم أن الاستعارة في الجلمة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا و تدل الشواهد عل أنه أُختص به حين وضع ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم فيكون هناك كالعارية».[4]

[1] ابن المعتز، (دت)، البديع، تحقيق: كراتشونسكي، (د ط)، دار الحكمة، دمشق، ص20.

[2] أبو هلال العسكري، الصناعتين : الكتابة والشعر، ص240.

[3] السكاكي(أبو يعقوب يوسف السكاكي ت626ه)،مفتاح العلوم، حققه: عبد الحميد هنداوي،(2000) ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 477.

[4] الجرجاني(عبد القاهر ، ت 471 ه)،(1999) ، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق : سعيد محمد اللحام، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، ص 30.

ويرى الجرجاني« أن الاستعارة من أصعب الصور مراسا وأبعدها انقيادا، وهي قائمة في نظره على النقل، وعملية النقل تحتاج إلى قدرة على رؤية حقائق الأشياء التي تدل عليها الألفاظ».1

إن الدور الذي تضطلع به الاستعارة إنّما هو دور فعال يقوم على تحريك عجلة الانتقال من المعاني التجريدية(التخيلية) إلى المعاني المجسمة(التجريبية)التي تدرك عن طريق الحواس من جهة، والانتقال من المعاني المحسوسة إلى معان روحانية ذات طابع تخييلي من جهة أخرى، وكل هذا من أجل استمالة النفس والتأثير عليها.

وعلى هذا، فإن الاستعارة تقوم على دعامتين أساسيتين هما: المشابهة والانتقال من معنى لآخر بقرينة تصرف الذهن وتوجهه للمعنى الجديد، ونظرا لارتباط الاستعارة بالتشبيه، رأى السكاكي أنها تستدعي تمهيدا لها بمبحث التشبيه وجعله أصلا ثالثا من أصول البيان.[2] يقول:« ثم إن المجاز: أعني الاستعارة من حيث إنها من فروع التشبيه كما ستقف عليه، لا تتحقق بمجرد حصول الانتقال من الملزوم إلى اللازم، بل لابد من تقدمه تشبيه شيء بذلك الملزوم في لازم له».[3]

ثانيا: أقسام الاستعارة:

للاستعارة تقسيمات عديدة هي:[4]

الاستعارة الحجاجية: هي النوع الأكثر انتشارًا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية والتواصلية، وذلك لأن الاستعارة تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بغرض توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، تقوم الاستعارة

[1] المرجع نفسه، ص 31.

[2] لهويمل باديس ،(2014)، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي(ت 626ه)،ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص 208

[3] السكاكي، مفتاح العلوم، ص 439.

[4] ينظر: العزاوي أبو بكر ، (2006)، اللغة والحجاج،ط1، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ص 108-109.

الحجاجية على العناصر الأساسية في الاتصال من مستمع ومتكلم وسياق وربما سمّاها بعضهم الاستعارة التداولية نحو ما ذكره أحد الدارسين من أنها وسيلة لغوية تواصلية، وتفسيرها يترتب عن عملية الترجمة من الانتقال من سياق التلقي الذي أنتجت فيه الاستعارة إلى سياق آخر وما يتعلق بذلك من اختلاف السياق الثقافي والاجتماعي، فهي قائمة على مستوى لغوي شكلي ومستوى آخر أدبي فني. ويمكننا أن نفرع الاستعارة الحجاجية من الاستعارة التداولية التي تكون بالضرورة أوسع منها امتداداً حيث تتجاوز في مقاصدها الإقناع والتأثير المرتبطين بالحجاج، إلى ما يرتبط باستعمال اللغة واستغلال المقام ومقاصد المتكلم المختلفة، وهي ذات قوة حجاجية فيما ذكره أبو بكر العزاوي " إن القول الاستعاري يتمتع بقوة حجاجية عالية إذا ما قورن بالأقوال العادية."[1]

1. **الاستعارة غير الحجاجية: (البديعية)** هي التي تكون مقصودة لذاتها، ولا ترتبط بالمتكلمين وبمقاصدهم وأهدافهم الحجاجية، وإنما نجد هذا النوع من الاستعارة عند بعض الأدباء والفنانين الذين يهدفون من ورائها إظهار تمكنهم من اللغة، فالسياق هنا هو سياق الزخرف اللفظي والتفنن الأسلوبي، وليس سياق التواصل والتخاطب. وتندرج ضمن هذا النوع من الاستعارة أنواع عديدة

نذكر منها:

- **الاستعارة التصريحية والمكنية:**[2]

يقسم البلاغيون الاستعارة من حيث ذكر طرفيها إلى: تصريحية ومكنية.

أ- الاستعارة التصريحية: هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به، أو ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه.

[1] بوجادي خليفة ،(2013)،تداولية الاستعارة من خلال أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة حمة لخضر واد سوف ، العدد 5، 2013،ص172.

[2] - عتيق عبد العزيز ، (2006)، علم البيان، ط:1، دار الآفاق العربية للنشر و التوزيع ، القاهرة، ص120.

ب- الاستعارة المكنية: هي ما حُذف فيها المُشَبه به أو المستعار منه، ورمز له بشيء من لوازمه، ونستطيع تحديد نوع الاستعارة من خلال تحليلها إلى عناصر أساسية تتألف منها، وهذا التحليل يتطلب تعيين كل من المشبه والمشبه به في الاستعارة، وكذلك نوع القرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.

- الاستعارة الأصلية والتبعية.[1]

يقسم البلاغيون الاستعارة باعتبار لفظها إلى أصلية وتبعية.

أ- **الاستعارة الأصلية**: هي ما كان اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرت فيه اسما جامدا غير مشتق، أو إذا كان المستعار اسم جنس كأسد وبحر وجبل وغيره.

- **الاستعارة التبعية**: هي ما كان اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسما مشتقا أو فعلا، ومنها الصفات المشتقة والحروف.

- أقسام الاستعارة باعتبار الملائم أو الخارج:

تنقسم الاستعارة على هذا الأساس إلى ثلاثة أقسام: مرشحة، ومجردة، ومطلقة.

المرشحة: هي ما ذكر معها ملائم المشبه به؛ أي المستعار منه، ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى: (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) البقرة/16،ففي هذه الآية استعارة تصريحية في لفظة "اشتروا" فقد استعير الاشتراء للاختيار بجامع أحسن الفائدة في كليهما، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الأصلي هي" الضلالة"، وإذا تأملنا هذه الاستعارة رأينا أنه قد ذكر معها شيء يلائم المشبه به "الاشتراء" وهذا الشيء هو "فما ربحت تجارتهم" ومن أجل ذلك تسمى استعارة مرشحة.[2]

[1] المرجع نفسه، 127.

[2] ينظر: عتيق عبد العزيز ، علم البيان، ص12.

1. **المجردة:** هي التي قُرِنت بما يلائم المستعارة له، كقوله تعالى: (فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) النحل/ 112. حيث قال أذاقها ولم

يقل كساها. فإن المراد بالإضافة أصابتهم بما استعير له اللباس، كأنه قال: فأصابها الله بلباس الجوع والخوف.[1]

2. **المطلقة:** هي ما خلت من ملائمات المشبه به والمشبه، وهي كذلك ما ذكر معها ما يلائم المشبه به المشبه معا. ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى: (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) الحاقة/11.[2]

- **الاستعارة التمثيلية:**

تنقسم الاستعارة من حيث الإفراد والتركيب إلى مفردة ومركبة. فالمفردة هي ما كان المستعار فيها لفظا كما هو الشأن في الاستعارة التصريحية والمكنية.

أما المركبة فهي ما كان المستعار فيها مركبا، وهذا النوع من الاستعارة يطلق عليه البلاغيون اسم الاستعارة التمثيلية، وهم يعرفونها بقولهم الاستعارة التمثيلية تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.[3]

ثالثا: الرؤية التداولية للاستعارة:

إنّ الاستعارة عند التداوليين ليست حلية أو زخرفا لفظيا، بل لها أكثر من قيمة انفعالية؛ لأنها تعطينا معلومات جديدة، وبوجيز العبارة تخبرنا الاستعارة شيئا جديدا عن

[1] حسن عبد الجليل يوسف، علم البيان بين القدماء والمحدثين دراسة نظرية وتطبيقية، ص53.

[2] عتيق عبد العزيز ، علم البيان، ص 130.

[3] - قالط بن حجي العنزي، (2014)، التداولية في التفكير البلاغي دراسة في"غرر البلاغة" لهلال بن المحسن الصابئ (ت 447هـ)، ط:1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد،بيروت،ص249.

الواقع، كما أنها وسيلة من وسائل إنتاج الدلالات وتأويلها.[1] هذا التأويل أو الانتقال من معنى معين إلى معنى ثان يكون لوجود علاقة مشابهة بين الطرفين في مدلولها مع شرط وجود قرينة دالة على المعنى الجديد، وهو نفسه ما سُمي حديثا بالمعنى المستلزم.

وتشكل الاستعارة ركيزة مهمة تضمن الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثاني المستلزم، نظرا لوجود تعارض دلالي بين هذه القرينة والمعنى الأول، مما يسمح بالانتقال للمعنى الثاني المقصود من طرف المتلفظ بالخطاب، ويضمن سلامة الصيغة والبنية التركيبية له، فالقرينة أو السياق بوجه أعم، هو الذي يضمن استقامة الكلام من حيث صيغته التركيبية برغم وجود تعارض دلالي بين المعنى الحرفي للجملة والقرينة الاستعارية، فالسياق إذا يُسهم في تحقيق الناتج الدلالي للاستعارة، من خلال صرف ذهن المتلقي عن المعنى الحرفي للجملة وتوجيهه للمعنى المستلزم، وعليه فإن هذا السياق هو الذي يمنح الاستعارة مظهرها التداولي، من خلال ما تحدثه من تأثير في المتلقي.[2]

يلحظ الدّارس لدراسة الاستعارة وفق منظور تداولي، تعدد النقاط التي تربط بين الاستعارة من جهة، والتداولية من جهة ثانية، ومن بين أهم النقاط المشتركة نذكر:[3]

- **فهم الاستعارة**: ترتكز هذه النقطة على مستويين اثنين، يتمثل الأول في مستوى التواصل والتفاعل البشري، والثاني في مستوى التفاعل الأدبي .

- **ترجمة الاستعارة:** تتأسس هذه النقطة على ترجمة الاستعارة وما يترتب على عملية الترجمة من عملية الانتقال من سياق التلقي الذي انتجت فيه الاستعارة إلى سياق آخر يتمثل في سياق الاستعمال، الذي يخضع للمستوى الثقافي والاجتماعي. ولتؤدي عملية ترجمة الاستعارة بنجاح، اشترط الباحثون أن يكون سياق التلقي

[1] المرجع نفسه، ص 249.

[2] ينظر : لهويمل باديس ، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي (ت 626هـ)، ص 211.

[3] ينظر: بلبع عيد ، (1994)، الرؤية التداولية للاستعارة ، مجلة علامات، جامعة المنوفية، مصر، العدد23، ص99.

محققا في اللغة المترجم إليها، فالأمر الذي يضمن نجاح هذا الإجراء في الترجمة هو أن يكون للصورة رواج و تبادل مشابهان في مجال اللغة المترجم إليها، غير أنه من النادر أن يستخدم هذا الإجراء في ترجمة الاستعارة الممتدة أو التعابير الاصطلاحية إلا إذا وجد تداخل بين ثقافة اللغة الأصلية ولغة الترجمة أو لأن الصورة الاستعارة ترمز إلى تجربة إنسانية كونية، ولا يخفى أن فكرتي الرواج في اللغة المترجم إليها، وأن ترمز الاستعارة إلى تجربة كونية تعنيان تحقق العناصر التداولية المناسبة بعملية تواصل ناجحة.

ولكي يحقق المترجم عملية ترجمة ناجحة يجب أن يأخذ بعين الاعتبار ما يلي:

- المعرفة الجيدة باللغتين، أي اللغة المترجم منها واللغة المترجم إليها.
- معرفة السياق الثقافي والاجتماعي والديني الذي أنشأ الاستعارة.
- الإيمان بدور الاستعارة في نقل المعنى وتقويته.

ويأتي التمييز بين المعنى الحرفي(المعنى النحوي أو المعنى المعجمي للكلمات) والمعنى التداولي (معنى المتكلم أو المعنى السياقي) بمثابة الفكرة الأم التي تجمع بين القضايا المثارة في دراسة الاستعارة وفق منظور جديد ورؤية تداولية، ومن هنا جاءت معالجة سيرل للاستعارة من خلال عرضه للتمييز التداولي بين المعنى الحرفي والمعنى الاستعاري بمصطلحين هما: speaker mening وهو معني المتكلم، و sentens mening وهو معنى الجملة. ويشير بداية إلى أن هذين المعنيين يتطابقان في المنطوق الحرفي، أما في المنطوق الاستعاري فإن الأمر يختلف اختلافا بينا، حيث يكون المعنى الاستعاري هو معنى تلفظ المتكلم.[1]

ويقسم سيرل المنطوق الاستعاري منطلقا من هذا التمييز إلى ثلاثة أنواع:

[1] الحنصالي سعيد ، (2005)، الاستعارات والشعر العربي الحديث، دار توبقال للنشر، المغرب، ص 82.

- المنطوق الاستعاري البسيط: وفيه تقوم الاستعارة على الاستبدال المحدد، كلمة بكلمة أخرى، أي كلمة ملفوظة بأخرى مضمرة، وتمثل المقصود المجازي أو قصد المتكلم.

- المنطوق الاستعاري غير المحدد: ويتسم باتساع مجال المعاني التي يحتملها المنطوق الاستعاري، إذ لا يتحدد المضمر هنا في كلمة واحدة، بل يتشعب بين عدة دلالات مجازية يحتملها البعد المجازي الاستعاري.

- الاستعارة الميته: وفيها يهمل المعنى الأصلي للملفوظ، ليكون المعنى المجازي الاستعاري هو الملفوظ، فهي التي استخدمها الناس لفترة طويلة من الزمن، بحيث أصبحت شائعة، مما أدى بنا لعدم الشعور بالفرق بين الموضوع والصورة، أي أنه من غير المتوقع أن يشعر القارئ بوجود أي صورة استعارية؛ لأن هذه الصورة قد اختفت نتيجة للاستخدام المتكرر.[1]

وقد ذكر الجرجاني هذه النقطة بقوله:" اعلم أن من شأن هذه الأجناس أن تجري فيها الفضيلة، وأن تتفاوت التفاوت الشديد، أفلا ترى أنك تجد في الاستعارة العامي المبتذل كقولنا رأيت أسدا، ووردت بحرا، ولقيت بدرا، والخاص النادر الذي لا تجده إلا في كلام الفحول ولا يقوى عليه إلا أفراد الرجال"[2].

كذلك يولي سيرل أهمية كبيرة للتمييز بين المعنى الحرفي ومعنى المتكلم، في دراسة المنطوق الاستعاري، فإن مشكلة الاستعارة عنده هي جزء من مشكلة لغوية عامة، هي تفسير الكيفية التي ينعزل فيها معنى المتكلم عن معنى الجملة، أو بعبارة أخرى : كيف تقول شيئا وتعنى شيء آخر.[3]

[1] المرجع نفسه، ص100.

[2] الجرجاني عبد القاهر ، (2004)، دلائل الإعجاز، ط5، دار الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، ص74.

[3] بلبع عيد ، " الرؤية التداولية للاستعارة"، ص100.

لا يؤمن سيرل بازدواجية المعنى في العبارة، والجملة بحسبه لا تتضمن سوى معنى واحدا وهو المعنى الحرفي، أما المعنى الاستعاري فهو مرتبط بالتلفظ أي بمقصد المتكلم، فالاستعارة في تصور سيرل لا ترتبط بمعنى الجملة، بل ترتبط بمعنى المتكلم، فإن طبيعة الاستعارة لملفوظ ما تعود إلى قصدية المؤلف واختياره، ولهذا السبب، فإن تأويل الاستعارة مرتبط بقرار صادر عن قصدية المتكلم.[1]

ويقدم سيرل لتأويل الاستعارة تمثيلاً رمزياً على طريقة المناطقة، فيرى أن المتكلم يريد (س) هو (ر) بقوله استعارةً: (س) هو (ر) ثم يحدد المبادئ كالآتي:[2]

- التركيز على الخاصية التعريفية المشتركة والبارزة بين المعنى الحرفي (ب) والمعنى غير الحرفي (ر)، فمعنى كلمة (عملاق) تؤول بـ (كبير)؛ لأن العمالقة كبارُ من حيث البنية والتعريف.

- الاستناد إلى معطيات الاستعمال العرفي في تأويل الاستعارة، حتى وإن كان التأويل ذا طابع خرافي، فقولنا: (ريتشارد دبٌ لم تلحسهُ أمه) تؤول بـ (ريتشارد فظٌ وقليل المخالطة وسيئ النشأة) وهذا التأويل يستند إلى العرف بأن الدّببة لم تضبط بضربات ألسنة أمهاتها.

- الاحتكام إلى العقل أو الاعتقاد في شأن الاستعارات التي لا يبدو فيها الشبه واضحاً بين المستعار والمستعار له، ليستنبط رابط ما بحسب فرز يقوم به طبيعياً أو ثقافياً. كما في استعارة (صوفيا قطعة جليد) بمعنى أنها ليست حساسة، هنا لا

[1] أمبرتو إيكو، (2000)، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة: سعيد بن كراد، ط1، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ص159.

[2] ينظر: بلانشيه فيليب ، (2007)، التداولية من أوستن إلى غوفمان،تر: صابر الحباشة، ط:1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ص 77/72. وعامر خليل الجراح، (2019)، الإجراءات التداولية التأثيرية في التراث البلاغي العربي بين التأويل والحجاج والإنجاز، ط:1، دار سنابل للتحقيق والنشر والتوزيع، اسطنبول، تركيا، ص96/95.

يوجد شبه قريب بين الجليد والإحساس، إلاّ أن احترام نسبة ارتباط درجات الحرارة بسلم الانفعالات ساهم في تأويل الاستعارة.

- في حالة غياب الشبه أيضا يكون التعويل على الحالة التي بمقتضاها كانت الاستعارة، كأن يقال لشخص نال ترقية مهمةً: أصبحت برجوازياً، أي أن حاله بهذه الترقية صارت كحال البرجوازيّ.

- توجد استعارات موسعة تقوم على استعارة خصائص بعيدة عنها هي خاصة بأشياء معينة، كاستعارة لفظ (بائخ) التي هي خاصّة بالأنسجة للمرأة مثلاً، فيقال: امرأةٌ بائخةٌ.

- يجب إيجاد العلاقة أو الخاصّة التي تكون شبيهة بالعلاقة أو الخاصة المعبر عنها حرفياً في العبارة الاستعارية، أو تكون مرتبطة بها بصلة ما.

- لمّا كانت ثمّة علاقة ما بين المستعار والمستعار له، وكان المجاز المرسل والكناية قائمين على علائق كذلك، جاز أن يدخل الأخيران في الاستعارة، وأن تكون مرتبطة بهما بصلة ما.

نلحظ أن سيرل في طرحه هذا ركز جلّ جهده في تحليل ودراسة الاستعارة على قصدية المتكلم، وما يريد المتكلم قوله والتعبير عنه، متجاهلا المعنى الحرفي للكلمات ومقصياً المتلقي من العملية التأويلية. إن سيرل في نظرته هذه ينطلق من مبدئه الشهير بقابلية التعبير أو قابلية الإبانة، ومفاده أن كل معنى غير مباشر يمكن التعبير عنه على نحو مباشر، ومن ثم يرى أننا نستخدم الاستعارات تحديد؛ لأن العبارات الحرفية لا تعبر بدقة عمّا نريد قوله.

ويذهب جيري مورغان(j.l.morgan) في دراسة له بعنوان: "تعليقات على تداولية الاستعارة" تناول فيها البعد التداولي للاستعارة وتأويلها وتحليلها، فلاحظ من خلال دراسته

الفرق الذي قدّمه سيرل بين المعنى الحرفي للجملة والمعنى اللفظي لها، وعلق عليه بأنه إنجاز مهم في دراسة الاستعارة.[1]

أما ماري يونج فذهبت في بعدها التداولي للاستعارة للقول: إن الاستعارة تتكون من عناصر لغوية وغير لغوية، فالاستعارة فيما هي تعبير عن تصور ذهني تكون مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بنظام اللغة الأصلية، والتجربة الحياتية المستمدة منها، الاستعارة مرتبطة أيضا بالنظم الثقافية والاجتماعية إضافة إلى النظام الأدبي في اللغة الأصلية، ويتم تقبل الاستعارة من قبل قارئها في لغتها الأصلية من خلال التقبل الذهني لها، إضافة إلى تطور المجتمع الذي يعيش فيه، وتلعب العوامل الشخصية مثل المهارة اللغوية والأدبية والتجربة الحياتية دورا مهما في تفسير الاستعارة، إضافة إلى العوامل العامة التي تحكم تقبل المجتمع بأسره لهذه الاستعارة.[2]

نلحظ من خلال ما تقدم أن ماري اشترطت عددا من الشروط الواجب توفرها في الاستعارة لتنال القبول، وأهم هذه الشروط هو صلة الاستعارة بنظام اللغة الأصلية، هذا الشرط الذي يضمن للاستعارة مقبوليتها.

ثم تخلص إلى رؤية أعم وأشمل باستنتاجها:" أن الاستعارات تغدو قابلة للترجمة حينما تتشابه المفاهيم الاستعارية الأساسية في النظم الثقافية واللغوية في لغة الأصل ولغة الترجمة، أما فقدان القابلية للترجمة فيحدث حينما يفشل المترجم في تجاوز العقبات والقيود التي تفرضها عليه النظم المختلفة المتعلقة بالاستعارة، وهكذا كلما قلت تلك القيود، زادت قابلية الترجمة، والعكس صحيح".[3]

وإذا نظرنا من زاوية الربط بين تأويل الاستعارة وقواعد الاستلزام الحواري الأربع عند غرايس والمتفرعة عن مبدأ التعاون(الكم والكيف والإضافة والجهة)، نخلص إلى أنه يمكن

[1] ينظر: أبو العدوس يوسف (2007)، التشبيه والاستعارة من منظور مستأنف، ط1، دار المسيرة، الأردن، ،ص198/199.

[2] ينظر: بلبع عيد ، الرؤية التداولية للاستعارة، ص100.

[3] المرجع نفسه.

أن ننظر للاستعارة على أنها نوع خاص من استغلال مبدأ أو أكثر من المبادئ الأربعة التي وضعها غرايس، ويتمثل هذا الاستغلال في خرق هذه المبادئ.

فإذا كان مبدأ الكم يتحدد في أن يجعل المتحدث مساهمته في الحوار إخبارية بالقدر المطلوب مما يلزم، فإن الاستعارة تتعدى حدود هذا القدر، وذلك لانفتاحها وخضوعها للتأويل، إضافة إلى ذلك فإن الاستعارة ارتبطت بالإيجاز، وإذا كان الإيجاز هنا يختلف مع تلك الصورة الحرفية المدرسية المثالية التي وضعها غرايس لمبدأ الكم، فإن الاستعارة من جهة أخرى إنما هي انتهاك للاستعمال المعياري للغة، وهي مخالفة تماما للغة الإخبارية التي تهدف إلى توصيل الفكرة. كما أن الاستعارة تخرق مبدأ الكيف الذي يتحدد في قوله: " حاول أن تجعل مساهمتك صائبة، وتستلزم الصدق والنية في تبليغ المعلومات"، فإن مستعمل الاستعارة يفعل عكس ذلك؛ أي أنه يظهر عكس ما يخفي. كذلك الاستعارة تخرق مبدأ العلاقة أو المناسبة الذي يرمي إلى حصر التحدث فيما هو مناسب للموضوع؛ لأن مستعمل الاستعارة يهدف إلى معنى غير المعنى الحقيقي، ويعمد إلى الازدواجية في المعنى، فإنه يخرج عن الموضوع؛ لأنه يحضر في أثناء كلامه أشياء خارج الموضوع، ويكون بذلك انتهك قاعدة المناسبة، إضافة إلى هذا فالاستعارة تخرق قاعدة جهة الخبر التي مؤداها " لتكن واضحا، وتجنب الغموض في التعبير" وهذا مالا تحققه الاستعارة؛ كونها تتميز بعدم ظهور الدلالة بشكل جلي؛ لأن مستعمل الاستعارة يعتمد على ازدواجية المعنى مما يجعل التعبير في عمومه غامضا.[1]

رابعا: نقاط التقاطع بين البلاغيين والتداوليين في قضية الاستعارة

1- **فكرة النقل وفكرة الادّعاء:** في هذا الصدد يقول الجرجاني: "واعلم أنه قد كثر في كلام الناس استعمال لفظ النقل في الاستعارة فمن ذلك قولهم: إن الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل

[1] ينظر: المرجع السابق، ص109.

النقل، وقال القاضي أبو الحسن الاستعارة ما اكتفى فيه بالاسم المستعار عن الأصلي ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها."[1]

نلحظ من خلال هذا الطرح أن الاستعارة عند الجرجاني هي الانتقال بالمعنى وحمله على معنى آخر، وهذه الرؤية تتفق مع ما أقره غرايس في النشاط الاستعاري الذي يتلخص في انتهاك القواعد الأربع (الكم، والكيف والجهة والمناسبة).[2]

أما قراءة طه عبد الرحمان للاستعارة وبنائها على الادّعاء فتقوم على ثلاثة مبادئ، ذكرها في باب مبادئ الادّعاء ومقتضياته:

- أولها مبدأ ترجيح المطابقة: مقتضاه أن الاستعارة ليست في المشابهة بقدر ما هي في المطابقة.

- والثاني، مبدأ ترجيح المعنى: مقتضاه أن الاستعارة ليست في اللفظ بقدر ما هي في المعنى .

- والثالث، مبدأ ترجيح النظم: مقتضاه أن الاستعارة ليست في الكلمة بقدر ما هي في التركيب.[3]

2- المعنى المباشر والمعنى غير المباشر:

يعد تقسيم الجرجاني في هذه النقطة أوضح نموذج، فقد قسم المعنى إلى قسمين: المعنى الأول هو المعنى المباشر، والمعنى الثاني هو معنى المعنى، يقول الجرجاني في هذا

[1] الجرجاني عبد القاهر ،(1993)، أسرار البلاغة، تعليق: محمود محمد شاكر، ط1،دار المدني، السعودية، ص434.

[2] أمبرتو إيكو، (2005)، السيميائيات وفلسفة اللغة ، ترجمة: أحمد الصمعي، ط1،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ص238.

[3] طه عبد الرحمان، (1998)، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط:1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص305.

الصدد:" فقد أرادوا في هذا كله كما ترى معنى ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود، وأن يكون إذا كان"[1]. ويضيف الجرجاني قائلا:" الكلام على ضربين، ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض."[2]

وهذه الرؤية للجرجاني تتوافق مع رؤية سيرل في قوله:" بأن التمييز بين معنى الجملة وبين معنى قول المتكلم هو القاعدة الأساسية للتمييز بين معنى الخطاب الحرفي والخطاب الاستعاري"[3] فسيرل يميز بين المعنى المباشر والمطابق لحرفه ولدلالته المعجمية ويتعلق بالاستعمال المباشر، أما المعنى الثاني فمتعلق بالاستعمال غير المباشر الذي يخضع لقصد المتكلم وظروف الخطاب وللاستعمال اللغوي.

3- علاقة المشابهة:

يتفق كل من البلاغيين العرب والتداوليين الغربيين على أن العلاقة في الاستعارة هي المشابهة، حيث يقر عبد القاهر الجرجاني بالمشابهة في قوام الاستعارة، يقول:" واعلم أنا إذا أمعنا النظر وجدنا المنقول من أجل التشبيه على المبالغة أحق بأن يوصف بالاستعارة من طريق المعنى"[4] ويضيف قائلا:" واعلم أن الاستعارة كما علمت تعتمد على التشبيه دائما"[5].

إن هذه الرؤية تتفق مع الرؤية الغربية التي ترى أن الاستعارة شكل من أشكال التشبيه الحرفي الذي يقوم أساسا على الحذف والاختصار، إذ حينما نتلفظ" زيد أسد" فنعلم بهذا أن زيدا في الواقع ليس أسدا، وإنما نبغي مقارنة بعض السمات الدلالية للأسد بما يمتلكه زيد من صفات مع تفادي إظهار فعل المقارنة وإبرازه على الصعيد الحرفي، وبالتالي

[1] الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز، ص66.
[2] المرجع نفسه، ص204.
[3] بلبع عيد ، الرؤية التداولية للاستعارة، ص100.
[4] الجرجاني عبد القاهر ، أسرار البلاغة ، ص402.
[5] المرجع نفسه،405.

فالاستعارة لا تقيم علاقة استبدالية بين وحدتين، وإنما تقارن بين شيئين بفعل تشابههما، فتكون بذلك الاستعارة نمطا من التشبيه القائم على الحذف ، ونوعا من المقارنة المعتمدة على الحرفية المضمرة التي تهمل استعمال أدوات التشبيه من قبيل حرف الكاف ومثل."[1]

4- أركان الاستعارة:

إن الدّارس لأركان الاستعارة التي وضعها نيو مارك، يلحظ توافقها لأركان الاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني، فالموضوع بمنزلة المستعار له والصورة بمنزلة المستعار منه والمعنى بمنزلة الجامع والاستعارة بمنزلة اللفظ المستعار.

الخاتمة:

- تعد الاستعارة في النظرية اللسانية الحديثة أداة للتأثير والإقناع، وهذا بناءً على عملية الاستبدال التي تقوم عليها الاستعارة، هذا الاستبدال الذي يبدأ من المفردات اللغوية ليصل إلى استبدال الوعي الذي يفضي بنا إلى تحويل المعنى المتخيل إلى صورة حسية تكسب الخطاب قوة سبك وتأثير. كما أن الاستعارة الحجاجية تتجنب التكلف؛ لأن التكلف قد يلغي الإقناع أو يجعله متعثرا.

- إن أهمية الاستعارة الحجاجية تكمن في المضمون الدلالي الذي تحمله إلى المخاطب، بغض النظر عن مستواها غير الحقيقي؛ بغية بناء هوية إقناعية لما تحمله أكثر من بنائها لهذه الهوية.

- جوهر الاستعارة الحجاجية يكمن في دمج صورتين، فننظر من نافذة الصورة الأولى (المستعار له) إلى الصورة الثانية (المستعار منه)، وبذلك يتم التأثير في المتلقي وإقناعه، من خلال خروجها إلى التداول، بعدولها من المعنى الحقيقي القديم إلى المعنى غير الحقيقي الجديد، فتبرز فيها الحجة في أبهى صورها بمعناها الجديد مقارنة بما كانت عليه في المعنى الأول.

[1] العاقد أحمد،(2006)، المعرفة والتواصل عن آليات النسق الاستعاري، ط1، دار قراق، ص63.

- تسهم الاستعارة الحجاجية في بناء النص من ناحية الاستدلال والتأثير والإقناع، وذلك عن طريق الإنزياحات اللغوية التي يرسلها المتلقي في شكل قوالب مجازية تشكل الاستعارة الحجاجية لبّ هذه العملية. هذا النوع من الاستعارة يخلق تصوراً ذهنياً جديداً بعملية ذكية يمكننا تسميتها لغة داخل لغة، وتقوم هذه الفكرة على التناسب الذي يجب أن يتوفر بين الطرفين (المستعار منه والمستعار له).

المراجع

- أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط1، 2000.
- أمبرتو إيكو، السيميائيات وفلسفة اللغة ، ترجمة: أحمد الصمعي، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ط1، 2005.
- بلبع عيد ،" الرؤية التداولية للاستعارة "، مجلة علامات، جامعة المنوفية، مصر، العدد23، 1994.
- بوجادي خليفة ، تداولية الاستعارة من خلال أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة حمة لخضر واد سوف ، العدد 5، 2013.
- الجراح عامر خليل ، الإجراءات التداولية التأثيرية في التراث البلاغي العربي بين التأويل والحجاج والإنجاز ،دار سنابل للتحقيق والنشر والتوزيع، اسطنبول، تركيا، ط:1، 2019.
- الجرجاني عبد القاهر ،(ت 471 ه) دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، دار الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، ط5، 2004.
- الجرجاني عبد القاهر ، (ت 471 ه) ،أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق : سعيد محمد اللحام ، دار الفكر العربي، بيروت،ط1، 1999.
- الحنصالي سعيد ، الاستعارات والشعر العربي الحديث، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2008.
- السكاكي (أبو يعقوب يوسف السكاكي ت626ه)، مفتاح العلوم، حققه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2000.
- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998.
- العاقد أحمد ، المعرفة والتواصل عن آليات النسق الاستعاري، دار قراق، ط1، 2006.

- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني، السعودية، ط1، 1993 .
- عتيق عبد العزيز ، علم البيان، دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة، ط:1، 2006.
- أبو العدوس يوسف ، التشبيه والاستعارة من منظور مستأنف، دار المسيرة، الأردن، ط1، 2007.
- العزاوي أبو بكر ، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط2006،1.
- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط:1، 2007.
- قالط بن حجي العنزي، التداولية في التفكير البلاغي دراسة في"غرر البلاغة" لهلال بن المحسن الصابئ (ت 447ه)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، بيروت، ط1، 2014.
- لهويمل باديس، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي(ت 626ه)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1 .2014 .
- ابن المعتز، البديع، تحقيق: كراتشونسكي، دار الحكمة، دمشق، (دط)،(دت).
- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل ابراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط 1، 2005.
- أبو هلال العسكري،(395ه)، الصناعتين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008.
-